فن الحلقة

ينهل مسرح التراث الشعبي (العربي) مادته الأساسية في العادة من الحكايات الأسطورية، والخرافات والمعتقدات الدينية، والحكايات الشعبية القديمة، والسير الشعبية، ليس فقط المحلية (وهي هنا المغربية)، بل وكذلك العربية المتمثلة في فن المقامات، وغير ذلك مما برع فيه العرب من أدب وفنون، بل حتى التراث العالمي باعتبار الفرجة تراثا إنسانيا قبل كل شيء. لكن تبقى تلك الأشكال شبه المسرحية أو (ما قبل المسرحية)، هي أهم روافد هذا النوع المسرحي المغاربي.

فضـــاء الحلقـــة:

إذا كان الفضاء في أغلب الفرجات هو إما فضاء احتفال دنيوي أو فضاء احتفال مقدس، وإذا كان هذا الفضاء يجمع في الغالب بين الجمهور وصانعي الفرجة، ويجمع أيضا بين علامات الفرجة الواقعية والعلامات الافتراضية، وإذا كان هذا الفضاء يساعدنا على تكوين صورة عن البنية الدرامية للفرجة، وإذا كان فضاء الفرجة هو بشكل أو بآخر فضاء تخييل، فإن فضاء "**الحلقة**" يلعب دورا مهما في خلق تواصل مباشر بين الجمهور والحكواتي لخلق الأنس الذي يؤدي إلى الانصهار الفكري والوجداني لنصل إلى مرحلة التأثر والتأثير، ونحقق بذلك ما نصبوا إليه.

وفضاء حلقة الرواة فضاء خاص لا يشبه فضاء الحلقات الأخرى في جامع الفناء، إن الحلقة العادية عبارة عن دائرة مكتملة، لكن حلقة الراوي ذات دائرة مخرومة، فالراوي يحتاج إلى ممر يستعمله للحركة أثناء السرد ويكون على شكل ثغرة في دائرة الحلقة، ويسمى "**الخلخال**" ويقع دائما خلف الراوي حيث يسمح له بالقهقرى والاندفاع إلى الأمام، ولضمان مشاهدة مريحة يبدأ الراوي بترتيب الحاضرين في حلقته، الصف الأمامي للأطفال والمسنين، حيث يفترشون الكارتون جلوسا، والصف الثاني للقادرين على الوقوف وأصحاب الدراجات الهوائية والنارية، ويستعمل صاحب الحلقة لباقة ملحوظة مع الجمهور لضمان هذا الترتيب.

عدة الراوي زربية صغيرة وكشكول وكتاب ألف ليلة وليلة وأحد كتب السيرة، أما الزربية

فهي العلامة والرمز مع الكشكول حيث يميز بها المواظبون على الحلقة بين الراوي وغيره من الرواة، فلكل راو زربيته الصغيرة وكشكوله المميزان. وأما الكتاب فإنه مجرد ديكور من جهة، كما أن له وظيفة من جهة أخرى، وتلك الوظيفة هي تنبيه العابرين من غير المداومين على ارتياد حلقات الرواة أن الأمر لا علاقة له بالضرب ولا بالأعمال البهلوانية أو السحرية، ومع ذلك فلا بد لمثل هذا الراوي من مجهود قبل بناء الحلقة لاجتذاب جمهوره، ينتصب الراوي في المكان ويرفع صوته بادئا بالصلاة على النبي بشكل منغم لاطما كفا بكف بعد كل فقرة إلى أن يلتئم الجمهور.

على سبيل المثال يبدأ مولاي **أحمد الفطن** من مواليد 1926 بهذا الاستهلال:

"باسم الله الفتاح، ربي هو الفتاح، مولانا خير ودايم

خلق الشمس والقمر وأعطانا كل نعايم

باسم الكريم هي مفتاح الربح حات في كتابو

خيار من نقول فنظمي تبدا باسم الله

ننهي بالصلاة على طه قد الضيا وغيهابو

عدد ما خلق ربي في أرضو وساكن سماه.

قواعد الحلقة:

ما يلفت الانتباه في "ساحة جامع الفناء"، أن أصحاب الحلقة وضعوا قواعد للراوي أجملوها في:

- **الجيم:** وترمز "**للجبهة**" أي الجرأة.
- **التاء:** وترمز إلى الثبات أي لا يسقط الحلايقي في الاستفزاز.
- **الميم:** وترمز إلى ما يسميه أصحاب الحلقة في معجمهم بـ"**المركة**" أي انعدام الخجل وهم يقولون:" **نيكس المركة**" أي لا مجال للخجل.
- **القاف:** وترمز إلى "**القباحة**" أي الوقاحة.

ذلك هو القاموس الأعظم لفرسان الحلقة، تلي هذه القاعدة الحروفية الرباعية عدة قواعد هي بمثابة تقنيات الحلقة الخاصة بالرواة وأهمها:

- اعتماد الحكي على مقدمة وعقدة، لكن هذه العقدة سرمدية تظل على لسان الراوي إلى ما شاء الله حيث يعيش رواد الحلقة كل يوم على أصل حل تلك العقدة. هكذا تظل الحكاية معقدة وبدون نهاية، وعندما تستنفد هذه الحكاية المتأزمة وظيفتها في اجتذاب الجمهور، ينتقل الراوي إلى حكاية أخرى بنفس التكتيك، ولكي لا يحصل الملل، يقطع الراوي الحكاية في أحد مقاطعها ليروي للجمهور قصة قصيرة غالبا ما تكون ذات بعد فكاهي أو تتضمن موعظة ما، ثم يواصل بعد ذلك تأزيم لحظة الراوية.
- حلاوة اللسان باستعمال اللباقة في استدراك كرم المتفرجين.
- تحريك الجمهور وتوظيفه بدعوته لرفع الأيادي وعدم خفضها" :**اللي هز يديه الله يهز علامو**." وكذلك بدعوته لترديد عبارة "**آمين**" بعد دعوات صاحب الحلقة لأحد المتفرجين الكرماء.

معجم الحلقة:

يستعمل "**الحلايقية**" لغة مرموزة للتواصل فيما بينهم تسمى "**الغوص**" لينبهوا بعضهم بطريقة لا يفهمها رواد الحلقة، وعلى سبيل المثال في حالة تسرب لصوص إلى الحلقة، يستعملون كلمة "**أولاد علي**"، ويرمزون للشرطة السرية بـ"**السراسر**"، وللقمار بـ"**البرايخي**"، وللكذب بـ"**سيدي منصور**"، وللجمهور بـ"**النبور**"، ولأخذ الحيطة والحذر يستعملون: "**تشكر وغبر**". ولجمع الجمهور: "**كبت الفرك**". ومن أجل سرد حكاية قصيرة يقول الحلايقي لصاحبه: "**ديرشي فتيقية**". وللمشاركة في التدخين "**أتكنبب معايا**" أي دخن معي. ولتمجيد وشكر المتفرج الكريم يقول الحلايقي لصاحبه "**زوهر**" ويسمون الفاتحة الصغرى "**التشليلة**" والفاتحة الكبرى" **الجهمة**".

المراجع:

– عبد الرفيع جواهري: جامع الفنا الصورة وظلالها، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، ط1، 2001.